ولا بد من القول ان منظمات المقاومة الفلسطينية كافة تلتقي حول الاعتقاد بان التحرير يجب ان يقوم في النهاية على اساس الانشقاق الفلسطيني ـ اليهودي خارج الطبقة الصهيونية . ولكن مهمة تحطيم البنى الفوقية للجرح الصهيوني لا يمكن تنفيذها على ايدي الفلسطينيين وحدهم بصفتهم قوة خارجية . ويتطلب نجاحها منها ان تصبح ايضا مهمة يهودية يجري تنفيذها سياسيا من الداخل .

ان هذا اللقاء بين القوى الراديكالية الذي يفترضه هذا الراي يشكل خطا سياسيا اساسيا واحدا في اية ستراتيجية ثورية في المستقبل . ولا بد هنا من الاعتراف انه حتى الان لم تنجح الا جماعات هامشية من المعسكرين في الاتصال فيما بينها محققة نتائج سياسية ضئيلة . ومع ذلك فان هذا الامر هام من حيث ارسائه سوابق للمستقبل . وفي هذه المرحلة تقع مهمة حمل المقهورين من الشعبين ، على ادراك القهر المشترك والحقوق المشتركة ، على الثورة الفلسطينية التي تمثل رفض العدوان الصهيوني والارادة على قهره .

مسالة التصديق

ولكن قبل الوصول الى هذه الاهداف سيتحتم على الفلسطينيين ان يناضلوا وحدهم مدة طويلة . وينتظر من القوى المؤهلة او التي قد تكون حليفة للفلسطينيين في اسرائيل (العمال المقهورون واليهود الشرقيون واليسار غير الصهيوني) ان تبقى مدة طويلة من الزمن جزءا من المؤسسة الصهيونية رغم الصراعات الطبقية والعرقية والايديولوجية . وهكذا فان المسالة تطرح نفسها على الشكل التالي : وجوب اسقاط الصهيونية ، واقامة تحالف طبقي بين المضطهدين الاسرائيليين والفلسطينيين . ولكن من اجل اقامة مثل هذا التحالف يجب اولا تحطيم الهيمنة الصهيونية الايديولوجية والسياسية (على المضطهدين)، اي انه يجب اسقاط البنى القومية للصهيونية . ولا يبدو ان هناك مخرجا واضحا او سهلا من هذا المأزق .

ولكن ربما كان بامكان الفلسطينيين التقدم تقدما كبيرا في هذه المسالة اذا نجحوا في تحقيق امرين : (١) تحويل حركتهم الى حركة راديكالية حقيقية ، (٢) تنظيمها على شكل قوة سياسية وعسكرية فعالة . واذا اظهر الفلسطينيون بصورة مقنعة (وليس بتعابير ايديولوجية فقط) انهم متجهون نحو مجتمع اشتراكي يتمتع فيه اليهود بحقوق متساوية مع غيرهم ، وانهم عازمون حقا على خوض نضال طويل الامد فانه من الممكن التفكير بالتحول الراديكالي . ولكن ربما كان اهم من ذلك قدرتهم على توضيح استحالة حل المسالة اليهودية على حساب الفلسطينيين وعدم عدالة ذلك ، وذلك من خلال عملية النضال الحقيقي وليس من خلال محاولات الاقناع الاعلامي فقط . ويجب اظهار الحركة الصهيونية على انها حركة تدفع بطبيعتها اولئك الذين يعانون منها الى مقاومتها والقتال ضدها .

وباختصار ، يجب اولا تحطيم الاجماع الصهيوني ايديولوجيا قبل ان يصبح من الممكن قيام اي بديل قابل للحياة وغير صهيوني للتعايش العربي الاسرائيلي . كما يجب بطريقة ما حمل الاسرائيليين على ادراك انهم لا يستطيعون العيش الى الابد بالسلاح وحده وبتاجيل التفاهم مع الفلسطينيين وجيرانهم العرب الى امد غير محدد . ومن الواضح ان هذا لا يمكن ان يأتي عن طريق الاقناع الفعلي او بواسطة هزيمة واحدة . ونذكر انه عندما كان نشاط المقاومة في اوجه بين العامين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ بانت بعض الدلائل الاولية واضحة على تزايد وعي الاسرائيليين لمطالب الفلسطينيين . ان احد اهداف حركة المقاومة هو دفع مثل هذه الافكار عند الراي العام اليهودي وتوسيعها مرة اخرى . يجب ان تصبح حركة المقاومة الفلسطينية اذا قوة عسكرية وسياسية وايديولوجية